(حاجة الأمة إلى قائد حكيم)

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القائل : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبده ورسوله القائل : (لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِك) قالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَأَيْنَ هُمْ ؟ قالَ : (بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ) وَفِي روِيَة : (وَهُمْ بِالشَّامِ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فيقول الله تعالى : (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)

• عباد الله : لقد اقتدت الصحابة رضي الله عنهم بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسلوبا ومنهجا ! وعندما نقرأ عن صفة تأسى الصحابة بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نرى العجب! فلعلكم قرأتم أو سمعتم قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : لو أن بغلة بالعراق عثرت لسألني الله عنها لماذا لم تمهد لها الطريق ؟ ويصفه سيدنا علي كرم الله وجهه فيقول : رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قتب يعدو! والقتب هو الرحل الذى على البعير فقلت : يا أمير المؤمنين أين تذهب ؟ قال : بعير نَدَّ أي شَرَدَ ونَفَرَ من إبل الصدقة أطلبه فقلت : لقد أذللت الخلفاء بعدك! فقال : لا تلومني يا أبا الحسن! فوالذي بعث محمداً بالنبوة لو أن عناقاً أنثى الماعز أخذت بشاطيء الفرات لأخذ بها عمر يوم القيامة! عندما نقرأ لهؤلاء ثم ننظر إلى حكام المسلمين اليوم لقلنا : حسبنا الله ونعم الوكيل فيهم! فكثير من شباب المسلمين اليوم يحملون مؤهلات جامعية ولا يجدون ما يأكلون ولا ما يلبسون! لا يجدون الحاجات الضرورية في الوقت الذى نرى فيه آخرين يلعبون بالملايين ويعبثون بأموال الشعوب ! فكما رأيتم عندما خرجت الشعوب المظلومة في مسيرات سلمية يشكون من الظلم! قوبلوا بالرصاص فى صدورهم! سبحان الله! أليس من حق المظلوم أن يشكو فقره ؟ أليس من حق المظلوم أن يصرخ ويستغيث من الظلم ؟ بلى! من حقه أن يصرخ وأن يرفض الظلم ! فلقد صرح الله له بذلك عندما يشعر بالظلم فقال تعالى : (لاَّ يُحِبُّ اللّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)

• هؤلاء هم قادة المسلمين فى عالم اليوم! لا يُشغلهم إلا بناء القصور وتشييدها وجمع ما خف حمله وارتفع ثمنه! لا يُشغلهم إلا تعليق صورهم في كل مكتب! لا يُشغلهم إلا سماع القصائد التى تنشد في مدحهم من المنافقين! لا يُشغلهم إلا توريث الحكم لأبنائهم وذويهم فالأمة الإسلامية اليوم بحاجة إلى قيادات تربت على الكتاب والسنة بحاجة إلى قيادات لا تخشى في الله لومة لائم بحاجة إلى قيادات تحكم شرع الله ولا تجامل أحداً على حساب الدين بحاجة إلى قيادات تُخرج شعوبها من مستنقع الذل والهوان إلى بستان العزة والكرامة بحاجة إلى القائد المربي الذي يفتح الله به أقفال القلوب ويهدي الحيارى والتائهين ، ويعالج الأخطاء بالرفق واللين! ويقابل الأحقاد بالعفو والصفح! .

• ولنا فى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأسوة الحسنة! فلم يكن صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طالب دنيا ولم يكن محبا لزعامة ولا لسلطان لقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حريصا على أن يجمع الناس على دين الله! وأن يحبب الناس في دين الله! حريصا على هداية الناس لذلك يقول لسيدنا علي كرم الله وجهه : (فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ) حريصا على إنقاذ النفوس من النار لذلك رأيناه يقف على رأس غلام يهودي يحتضر فيقول له : (يَا غُلاَمُ ! قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ) والغلام ينظر إلى أبيه! والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يردد ويلح عليه! والغلام ينظر إلى أبيه! حتى قال له أبوه : قل ما يقول لك أبوالقاسم فقالها الغلام وفاضت روحه إلى الله فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بي مِنَ النَّار) هكذا كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة مهداة كما قال له ربنا : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) .

• نرى تلك الرحمة فى قصة إسلام صفوان بن أمية! وفى قصة إسلام عكرمة بن أبي جهل! فصفوان بن أمية بن خلف الذي كان يعذب بلالا رضي الله عنه بمكة حتى كاد أن يموت! لما فتح الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مكة رفض صفوان أن يكون من الطلقاء وأن يكون من المسلمين وعزم على إلقاء نفسه فى البحر حتى لا يقتله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فيأتي صديقه عمير بن وهب إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقول : يا رسول الله! صفوان بن أمية سيد قومه فر هاربا ليلقي بنفسه في البحر مخافة أن تقتله أمِّنه يارسول الله فداك أبي وأمي ! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (هُوَ آمِنٌ) فذهب إليه عمير بالرسالة فتشكك صفوان في الأمر وقال : أريد علامة أتأكد بها من أمان محمد ؟ فعاد عمير وقال يارسول الله! إن صفوان يتشكك في الأمر ويريد علامة! فخلع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عمامته التى كان يرتديها يوم الفتح وقال له : (إذهَب وَاعطِهِ إيَّاهَا) .

فذهب عمير ورجع بصفوان وَصَاحَبَ صفوان الرسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة وهو على كفره حتى كانت غزوة حنين خرج مع الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفاعا عن قومه فقط وفى طريق العودة رآه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر بتشوق إلى واد قد امتلأ بالإبل والغنم فقال له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أيعجبك هذا يا أبا وهب؟) قال : نعم يا محمد قال : (خذه فهو لك) فقال صفوان : والله لا تسخو نفس بهذا العطاء إلا نفس نبي! أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله! هذا الرجل صنعه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لدين الله! فكيف ذلك ؟ لقد أبلى صفوان بلاء حسنا وأنفق في سبيل الله أودية مثل الوادي الذي أهدي إليه! هكذا كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصنع الرجال! .

• وفى إسلام عكرمة بن أبى جهل نرى رحمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ! فقد أسلمت زوجة عكرمة يوم فتح مكة أما عكرمة فقد رفض الإسلام وذهب إلى ساحل البحر ليركب سفينة يغادر بها أرض العرب! فذهبت زوجته إلى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقالت له : زوجي عكرمة يخاف على نفسه منك فأمِّنه يارسول الله! فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يا أم الحسن هو آمن) فذهبت إليه وأدركته وهو على الساحل فتقول : ياعكرمة جئتك من عند خير الناس! فقد أمَّنك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فعاد معها عكرمة وعندما دنا عكرمة من مكة قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه : (يَأْتِيكُمْ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ مُؤْمِنًا فَلا تَسُبُّوا أَبَاهُ) أنظروا إلى هذه النفس العظيمة التى صاغها الله بيده كيف يراعي مشاعر أصحابه! ومن فرحة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ به قام إليه مهرولا بدون رداء فرحب به! فوقف عكرمة وقد طأطأ رأسه حياء من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال يا رسول الله استغفر لي! فاستغفر له الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عكرمة : ما من نفقة أنفقتها في الصد عن سبيل الله! وما من قتال قاتلته في الصد عن سبيل الله إلا أبليت أضعافه في الزود عن دين الله! .

• فهذه فرصتكم أيها المسلمون أن يحرص كل واحد منكم على أن يكون عنوانا لدينه فى هذه البلاد! وألايغادر هذه البلاد بعد طول مقام إن شاء الله إلا بواحد هداه الله للإسلام! وقد رأيتم أثر سخاء الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على صفوان بن أمية مِمَّا جعله يُعلن إسلامه! فكونوا أسخياء معهم حتى يهديهم الله بكم! فإذا فعلتم ذلك وتحقق لكم ما أردتم عندئذ ستقولون ما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ بي مِنَ النَّار) وهذه بشرى أخرى لمن أراد خيري الدنيا والآخرة إن شاء الله يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ)

• نعم لقد ربى الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جيلا من الصحابة لا نحصي لهم عددا! وقد سطر علماء الإسلام في سيرتهم أسفارا أي كتبا ومجلدات : كأسْدِ الغابة وغيرها تعجز يد الرجل القوي عن حملها! فما أحوج الأمة الإسلامية اليوم إلى القيادة الرشيدة التى تعالج الأخطاء بالرفق واللين ، وتقابل الأحقاد بالعفو والصفح ، وتهدي التائهين الحيارى إلى العبور بهم إلى بر الأمان! فربوا أبناءكم معشر المسلمين على الإقتداء بالصالحين ، لا تتركوهم ليتربوا على مائدة النت أو التليفزيون أو الأبواب الخلفية! عندئذ سيكون قدوتهم : س أو ص من لاعبى الكرة أو الفنانين والممثلين! درسوا لأبنائكم حياة الصحابة والتابعين لهم بإحسان! حفظوهم أسماء أبطال الإسلام فهذا حقهم عليكم وأنتم مسئولون عنهم قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

(إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ حَفِظَ ذَلِكَ أَمْ ضَيَّعَ ، حَتَّى يَسْأَلَ الرَّجُلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ)

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)